

روح المعاني

ومنه البيت فان التكثير إنما فهم فيه لأن الفخر إنما يحصل بكثرة وقوع المفتخر به وذكر بعض المحققين أن الحق ما قاله ابن مالك أن اطلاق سيبويه أنها بمنزلة ربما يوجب التسوية بينهما في التقليل والصرف إلى المضي والبيت دليل عليه فان الفخر يقع بترك الشجاع قرنه وقد صبغت أثوابه بدمائه في بعض الأحيان .

وقول أبي حيان ان الفخر إنما يحصل بكثرة الخ غير مسلم على إطلاقه بل هو فيما يكثر وقوعه وأما ما يندر فيفتخر بوقوعه نادرا لأن قرن الشجاع لو غلبه كثير لم يكن قرنا له لأن القرن بكسر القاف وسكون الراء المقاوم المساوي .

وفي القاموس القرن كفؤك في الشجاعة أو أعم فلفظه يقتضي بحسب دقيق النظر أنه لا يغلبه إلا قليلا وإلا لم يكن قرنا ويتناقض أول الكلام وآخره وادعى الطيبي أن لفظ قد للتقليل وقد يراد به في بعض المواضع ضده وهو من باب استعارة أحد الضدين للآخر والنكتة هنا تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى قومه وتكذيبهم يعني من حقه وأنت سيد أولى العزم أن لا تكثر الشكوى من أذى قومك وأن لا يعلم الله تعالى من اطهارك الشكوى إلا قليلا وأن يكون تهكما بالمكذابين وتوبيخا لهم .

ونص بعضهم على أن قد هنا للتقليل على معنى أن ما هم فيه أقل معلوماته تعالى وضمير إنه للشأن وهو اسم إن وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف أي الذي يقوله وهو ما حكى عنهم من قولهم إن هذا إلا أساطير الأولين أو هو وما يعمه وغيره من هذيانهم وجملة انه الخ سادة مسد مفعولي يعلم .

وقرأ نافع ليحزنك من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله سبحانه : فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا بطريق التسلي بما يفيد من بلوغه صلى الله عليه وسلم في جلالة القدر ورفعة الشأن غاية ليس وراءها غاية حيث نفى تكذيبهم قاتلهم الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم وأثبتته لآياته تعالى على طريقة قوله سبحانه وتعالى : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله إذانا بكمال القرب واضمحلال شأنه صلى الله عليه وسلم في شأن الله وفيه أيضا استعظام لجنايتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كأنه قيل : لا تعتد به وكله إلى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في حقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجدون .

الظلم الذي جودهم هذا فن من فنونه وقيل : إن كان المراد من الظلم مطلقة فالوضع للإشارة إلى أن ذلك دأبهم وديدنهم وأنه علة الجود لأن التعليق بالمشتق يفيد عليه المأخذ وإن أريد به الظلم المخصوص فهو عين الجود وواقع به نحو ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فيكون المبتدأ مشيراً إلى وجه بناء الخبر كقوله : إن الذي سمك السماء بنا لنا بيتاً دعائمه اعز وأطول وقيل : إن أل في الظالمين إن كانت موصولة واسم الفاعل بمعنى الحدوث أفاد الكلام سببية الجود للظلم وإن كانت حرف تعريف واسم الفاعل بمعنى الثبوت أفاد سببية الظلم للجود لا يخفى ما فيه والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظاماً لما قدموا عليه وإيراد الجود في مورد التكذيب للإيذان بأن آياته سبحانه من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجود وهو كالجد نفي ما في القلب ثباته أو إثبات ما في القلب نفيه والباء متعلق بيجدون والجد يتعدى بنفسه والباء فيقال جده حقه وبحقه وهو الذي يقتضيه ظاهر كلام الجوهري والراغب وقيل إنه إنما يتعدى بنفسه والباء